ونقاش وقصائد فى الهجاء، فتلاحم القتال فقال حسان بن ثابت يصف الحال :

لنا فى كل يـــوم من معـــدّ سبابٌ أو قتالٌ أو هجـــاءُ
فنحكمُ بالقوافى منْ هجانـــا ونضربُ حين تختلطُ الدمـــاءُ

ذلك لأن هؤلاء الشعراء كانوا يحمون أعراض المسلمين من هجوم خصومهم باللسان ؛ وإخوانهم يحمونها بالسنان ، فكأنها معركة سياسية دينية ، تؤثر فى النصر النهائى ، وتصنعُ فى المحاربين كما تصنع السيوف سواء بسواء ، بل إنها كصحافة العصر ودعايته تحمل من أعباء القتال ما تحمل الجيوش المحاربة . وقد أسرف المشركون فى التحريض على النبى وأعوانه حتى أهدر النبى دم بعض الهجائين منهم ، دفعاً للعنف وحماية من الفضيحة .

وهذا الهجاء الدينى سار فى أسلوبه على سبيل الجاهلية وشعرها ، فاعتمد على الأنساب والقبلية ، وحماية الجار والدفع إلى الثأر ، وذم الجبن ، والعورات والمثالب ، وأضاف إلى ذلك ما قام فى الدين الجديد من تعيير بالشرك ، ومخالفة الله ، وعبادة الأوثان ، والتهديد والوعيد بنار جهنم والعذاب فيها . فاستفاد من القرآن الكريم ، وأخذ من معانيه وآياته فى هذا الباب ، فقد سبق القرآن إلى هذه الحرب وهذا الوعيد فكان المعلم العظيم فى الهجاء الدينى ؛ تناول المشركين والكفار فأصلاهم ناراً حامية وصبّ عليهم سوط عذاب ، فأنذرهم وهددهم وتوعدهم ، فقال فى أبى لهب وامرأته حمالة الحطب ووصف حبلها بأنه من مسد . وهجا الشعراء المشركين فجعلهم فى كلّ واد يهيمون ، يقولون ما لا يفعلون . ووصف المنافقين بالكذب ، ونددّ بسوء أعمالهم ، وأنهم مرضى القلوب وأنّ لهم عذاباً أليماً ، فهم السفهاء الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، وهدّدهم بالجنود يأتونهم من فوقهم ومن تحتهم ، وقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر فلا عاصم لهم من أمر الله[1] .

وهجا اليهود ، وجعل لهم الخزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب ، ولعنهم بكفرهم ، وباءوا بغضب على غضب . وذكرهم بما كان منهم نحو الأنبياء المرسلين ، وأنذرهم بسوء المصير ، ذلك لأنهم اتبعوا ما تتلو

(١) انظر نصوص الآيات فى كتاب الجاهلية وصدر الإسلام ، لمحمد حسين ، طبعة القاهرة .